ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه اي
الله باشراككم شيئا من الضرر انما تضرون انفسكم وقيل لا تنقصونه شيئا اذا
اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سوا ان ربي على كل شيء صغيرا وكبيرا حقيرا وجليل
حفيظ اي رقيب عالم بكل شي وقادر على كل شي فيحفظني ان تنالوني بسو وحفيظا
لاعمال العباد حتي يجازيهم عليها او حفيظ على شي يحفظه من الهلاكة اذا شاء
ويهلكه اذا شاء ولما لم يرجعوا ولم يرعوا ببينة ولا رغبة ولا رهبة جاء امرنا
اي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية
ايام حسوما تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وترفعهم وتضربهم على الارض
على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية وهاهنا همزتان مفتوحتان من كلمتين
قرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الاولى وقرا ورش وقنبل بتخفيف الاولى وتسهيل
الثانية والباقون بتحقيقهما نجينا هودا والذين امنوا معه اي من هذا العذاب
وكانوا اربعة الاف برحمة منا لان العذاب اذا نزل قد يعم المومن والكافر فلما انجا الله
تعالى المومنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ هو
عذاب الاخرة ووصفه بالغلظ لانه اغلظ من عذاب الدنيا ونجينا هودا والذين
امنوا معه من ان يصل اليهم الكفار بسو مع اجتهادهم في ذلك ونجيناهم من عذاب
غليظ هو الريح المذكورة ولما ذكر الله تعالى قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه
وسلم فقال وتلك عاد وهو اشارة الى قبورهم واثارهم كانه تعالى قال سيحوا في
الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع اوصافهم ثم ذكر عاقبة احوالهم
في الدنيا والاخرة اما اوصافهم فثلاثة الصفة الاولى قوله تعالى جحدوا بايات ربهم
اي بالمعجزات التي اتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى وعصوا رسله
اي هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من عصى رسولا فقد عصى
جميع الرسل لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى
واتبعوا امر كل جبار عنيد اي السفلة كانوا يقلدون الروسا في قولهم ما هذا الا بشر
مثلكم فاطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم وعصوا من دعاهم الى الايمان وما
يرديهم والجبار المرتفع والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض ولما ذكر
تعالى اوصافهم ذكر احوالهم بقوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
اي جعل اللعن رديفا لهم وتابعا ومصاحبا في الدنيا والاخرة ومعنى اللعنة الابعاد
من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الاخرة لعنة
على روس الاشهاد ثم انه تعالى بين السبب الاصلي في نزول هذه الاحوال المكروهة
بهم بقوله تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم فحذف البا والمراد جحدوه
بالكفر الجحد اي جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف اي كفروا نعمة ربهم
تنبيه الا اداة استفتاح لا تذكر الا بين يدي كلام يعظم موقعه ويجل خطبه
ثم قال الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم

كانوا

ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم كان بقوله تعالى ان اوحينا اي ايحاؤنا الى رجل
منهم اي من اهل مكة ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون صدقه
ونسبه وامانته قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصر عن
عظمايهم فيما يعتبر فيه الا في المال وخفة المال اهون شي في هذا الباب
ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقد
قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ان انذر الناس
اي عامة اي اعلمهم مع الخوف ما امامهم من البعث وغيره وان هي المفسرة لان
الايحا فيه معنى القول وبشر الذين امنوا اعم في الانذار لانه قل ان
يسلم احد من كبيرة او صغيرة او هفوة جليلة او حقيرة على اختلاف الرتب
وتباين المقامات وخص البشارة اذ ليس للكافر ما يبشر به ان اي
بان لهم قدم اي سلف صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين واهل
اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم
وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم
وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وقال عطا مقام
صدق لا زوال له ولا بوس فيه وقال زيد بن اسلم هو شفاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كمسجد الجامع
وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال ابو عبيدة كل سابق في خير
او شر فهو عند العرب قدم قال الشاعر
صل لذي العرش واتخذ قدما ينجيك يوم العثار والندم
وهو مونث فيقال قدم حسنة او قدم صالحة وقوله تعالى قال الكافرون
ان هذا لساحر مبين قرا نافع وابو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون
الحا على ان الاشارة للقران المشتمل على ذلك والباقون بفتح السين
والف بعدها وكسر الحا على ان الاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربكم
الموجد لكم والمربي والمحسن هو الله الذي خلق اي قدر واوجد السموات والارض
على اتساعهما وكثرة ما فيهما من المنافع في ستة ايام اي من ايام الدنيا اي في
قدرها لانه لم يكن ثم شمس فان قيل ولو شا لخلقهما في لمحة والعدول عنه
لتعليم خلقه التثبت فان قيل ان اليوم قد يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به
النهار وحده فما المراد اجيب بان الغالب في اللغة ان يراد باليوم اليوم بليلته
ولما اوجد سبحانه وتعالى هذا الخلق الكبير المتباعد والاقطار الواسع الانتشار
المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه وتعالى عن عمله
فيه عمل الملوك في ممالكهم بقوله مشيرا الى عظمته باداة التراخي ثم استوى

Copyright King Saud University